

محتويات العدد ١٥ لعام ٢٠٠٦

اسم البحث	اسم الباحث	رقم الصفحة
منهج الرسول في الدعوة المرحلة المكية في ضوء الكتاب والسنة	د. سعيد عبد الرحمن القرقي	١
دعوة الاسلام الى وحدة المجتمع الانساني ونبذ الفرقة	د. طارق محمد سميان	٥٧
الادغام الكبير	د. محمد خضير الزوبعي	٩١
فقه الخلاف واثره في الواقع	د. غازي خالد العبيدي	١٢٠
مفهوم العدالة وعلاقتها بالقانون	د. محمود حسن علي	١٦٨
التفسير العلمي في القرآن واثره في العقيدة والفكر	د. طارق محمد سميان	١٩٥
اقسام التوحيد وانواعه عند الصوفية	د. ثائر ابراهيم الشمري	٢٢٢
اراء النحاة في الوقت والامانة في كتاب الكنز للواسطي	د. غازي خالد العبيدي	٢٦٣
فقه الامام يحيى بن معين من خلال تاريخه	د. غازي خالد العبيدي	٢٧٨
اسرار الجبال في القرآن الكريم	د. اسماعيل محمد قرني	٣٣٩
رواية المبتدع واثرها في اختلاف الفقهاء	د. عثمان محمد غريب	٣٦٤

اسرار الجبال في القرآن الكريم

الدكتور محمد اسماعيل قرني

مقدمة

الحمد لله الذي جعل اوتاد الارض واوكل اليها مهمة حفظ الارض عن الميلان والصلاة والسلام على من انزل عليه القرآن محمد وعلى آله وصحبه اجمعين وبعد:

فان موضوع الجبال من المواضيع المهمة في حياة البشر اذ ربط الله بها معجزات عظيمة دالة على كمال فطرة الله تعالى فيقول تعالى: (وإلى الجبال كفى نُصِبتُ) ^(١)، فذلك بجدر بكل ذي عقل ان يتدبر آياته تعالى في هذا الجزء المتين وحزام الامان للارض ليظهروا اسرار الجبال ويكشفوا كنوزها الخفية، فكلما تعمق الباحث في دراسة الجبال وتمعن فيها ظهر له من العجائب ما لم تظهر لغيره، يقول تعالى: (وفي الأرض آيات للمؤمنين) ^(٢)، ولا يخفى على الباحثين ان العلماء على مر العصور يسجلون اكتشافات جديدة حول الارض والسماء واجزائهما، في سجل العلم لتتجسد عجائب الله في خلقه للأجيال القادمة، يقول تعالى: (ستريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق) ^(٣).

ويهدف البحث بيان وظائف الجبال، وتكوينها والتعرف على بدائع صنع الله الذي اتقن كل شيء، لأن الانسان في هذا الكون امام شئئين: المادة التي تكون موضوعا للاعراض، ومنها الجوهر والجسم والحيوان، والطاقة والاعراض، التي تكون محمولا على الموضوع الذي يعد اساسا لها، فلولاها لما ظهرت تلك الاعراض، كالالوان والقوة والروح والنفس والهواء وغير ذلك، فاذا علمنا المادة والطاقة والزوجية في اجزاء الخلق ادركنا وحدانية الله وانه الواحد الاحد الذي بيده ملكوت كل شيء واليه ترجعون.

وجاءت خطة البحث في بيان معنى الجبال وآياتها، ووظائفها وخلقها وفنائها ونتاج البحث، وفيما يأتي بيان ذلك في المباحث الآتية:-

^(١) الغاشية: ١٩.

^(٢) الذاريات: ٢٠.

^(٣) فصلت: ٥٣.

المبحث الاول

معنى الجبال وخلقها:-

الجبل في اللغة اسم لكل وتد للارض عظم وطال^(١)، وبهذا يخرج الاجزاء المرتفعة للارض غير طويلة كالتلوي الممهدة للجبال، ويقال للذاهبين الى الجبال قوم اجبلوا أي ذهبوا الى الجبال، اما الجبل في اصطلاح العلماء : (فهو الجزء البارز العالي من سطح الارض يرتفع عنا يجاوره كثيرا، المختلفة الاحجام والالوان)^(٢).

خلق الجبال وتكوينها:-

يحدثنا الباري جل وعلا عن خلق الجبال وتكوينها في بعض آيات القرآن الكريم لذا يقول في سورة فصلت (قُلْ أَنتُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ * وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِي مِّنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سِوَاءِ لِلشَّائِلِينَ)^(٣).

لقد نسب الله خلق الجبال ونصيبها وارسائها الى نفسه فقال: "وجعل فيها رواسي"، وقال: "والجبال ارساها" النازعات. ولم ينسب الى الطبيعة ولا الى الصدفة او الى أي مخلوق اخر، وجاء خلق الجبال عقب خلق الارض وبسطها، فتكونت الجبال كما ارادها الله تعالى، الا ان الباحثين ما تكلموا عن خلق الجبال وتكوينها ولم يتكلموا عن نشأتها الاولى وخلقها بل تحدثوا عن تكوينها المادي بقدرة الله تعالى، فيقولون: ان بعض الجبال تكونت بانخلاع قشرة ارضية اذ كانت عوامل انقباض القشرة الارضية بسبب انقباض النواة الارضية بالبرودة عدة انفعالات كالتجعد، فنشأت من هذه الانفعالات جبال كثيرة، وحدثت جبال بسبب الانخسافات والزلازل الارضية،^(٤) ولهذا يؤكد علماء الجيولوجيا على ان اصل الجبال والتلال من ناحية ارتفاعها او وعورة سطحها يعود الى عمليات الرفع،

(١) ينظر: معجم من اللغة، ج ١/ص ٤٦٩، وترتيب القاموس - ج ١/ص ٤٣٩ - ٤٤٠.

(٢) ينظر: دائرة المعارف القرن العشرين، المجلد الثالث - ص ٣٢.

(٣) فصلت: ٩ - ١٠.

(٤) المصدر السابق، ج ٣/ص ٣٢.

فإذا كانت عالية وشديدة التضرس، فإن هذا يعني أنها قد تعرضت لعمليات رفع في مرحلة جيولوجية حديثة، كما أن لعمليات الرفع القديمة أثارها في المناطق الجبلية، وذلك لأن عملية الرفع حدثت عدة مرات، مثال ذلك أن جبال (روكسي) التي توجد في ولايتي ديومنج وكلواردو تمثل الحركة الثالثة لعمليات الرفع والالتواء في المنطقة.^(١)

فالحركة الأولى كانت منذ حوالي ملايين السنين، وقد قضت عوامل التعرية على معظم جبال هذه الحركة الأولى ثم حدثت حركة رفع ثانية، وقد تعرضت هذه المرتفعات أيضاً بدورها لعوامل التعرية، أما القمم المرتفعة الموجودة حالياً فهي نتائج حركة الرفع الثانية، ثم حدثت حركة رفع أخيرة، وكانت هناك بقايا لحركة رفع ثانية.^(٢)

وإذا عدنا إلى آيات القرآن الكريم لوجدنا أن الله عز وجل يلفت انتباهنا إلى خلق الجبال، بقوله: (أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا)^(٣) إذ نعش على أرض ثابتة للعيان أمانة من الحركات وتبصر الجبال حولنا كأنها احزمة على بطن الأرض، فجعلها الله أوتاداً لها وأثبت بها الأرض، فبين لنا أن تثبيت الجبال وكون الأرض مهداً من فعله تعالى، وليس من المخلوقات، وحرك عقول المنحرفين عن الفطرة والإيمان به إلى انقياد لخالق هذا الكون والرجوع إليه بالعبادة والتقوى، والخوف من جلاله، أن لا يزلزل الأرض تحت أقدامهم، وأن يبتعدوا عن عبادة الأوثان والهوى، فقال في آية أخرى: (أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا وَجَعَلْنَا فِيهَا رِوَاسِي شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا)^(٤) فجعل الأرض تحتضن كل مخلوق حياً وميتاً، ثم أرسى عليها الجبال جاثمة لتستقر ولا تتحرك وتميل، فليتدبر الإنسان كيفية خلق الجبال، ومهمتها وما

(١) ينظر: (البيئة والتضاريس) د. يوسف عبد الحميد فاسد: ص ٨٨.

(٢) المصدر السابق، ص ٨٩.

(٣) النبأ: ٦-٧.

(٤) المرسلات: ٢٥-٢٧.

يستفاد منها ولا يعبد الذي لا يستطيع خلق شيء أو تغيير من الاوثان المصنوعة بأيدي البشر بل يعبدوا الذي خلق السموات والارض وارسى على الارض الجبال.

آيات الجبال:

لاشك في ان خلق السموات والارض وما بينهما من فعل الله عز وجل ولم ينكر احد من ذوي الفطرة السليمة هذه الحقيقة عبر عصور مضت وسنين تعاقبت، فكل انسان خاف كوارث ارضية وتصدعات جبلية ووابل سماوية وعذابها، ولهذا بدأ يقدم القرابين في عصورهم الوثنية الى الشمس والقمر والارض ليأمن من شرها مع ايمانهم بوجود خالق لهذه الاجزاء الكونية، بقصد الخلاص من عذابه يوم القيامة وكسب رضاه.

لهذا نجد ان الله عز وجل، أكد على خلق السموات والارض واجزاء اخرى من الكون ليعرف ان هذه الاجرام السماوية آيات الله الدالة على عظمته، فقد ورد لفظ الجبال (٣٩) مرة في القرآن الكريم، بصيغة المفرد والجمع، وهي آية من آياته الظاهرة الدالة على قدرته وجلاله، فقال تعالى: (أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْآبِلِ كَفَى خَلْقَتْ* وَإِلَى السَّمَاءِ كَفَى رَفَعَتْ* وَإِلَى الْجِبَالِ كَفَى نُصِبَتْ). (١)

اذ انها تخشى الله وتخاف عقابه، بقوله تعالى: (وَأَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لِرَأْيَتِهِ خَاشِعًا مَتَّصِعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ) (٢).

أي ان الجبل لا يتحمل التكاليف الشرعية والامانات الواردة في آيات القرآن الكريم، واذا نزلت اوامره تعالى على جبل لرأيته متصدعا من خشية الله تعالى، فهذا وان كان تمثيلا بدليل قوله تعالى: (وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) (٣)، فانه يدل على مكانة القرآن الكريم وعظمته، ومدى تأثيرها على

(١) العاشية: ١٨-٢٠.

(٢) الحشر: ٢١.

(٣) الحشر: ٢١.

القلوب فاذا كان هذا حال الجبل فكفي يمكن للبشر ان يتخذ منه ألها او يجعل منه مسكنا للاله؟

ويحدثنا القرآن الكريم بأن الجبال تنطق مع داود عليه السلام فقال تعالى: (إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعُشِيِّ وَالْأُشْرَاقِ وَالطُّيُورَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لِّهِ أَوَّابٌ) ^(١)، وقال: (وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطُّيُورَ إِنَّا لَنَافِلُهُ الْحَدِيدِ) ^(٢)، وقال: (وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطُّيُورَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ) ^(٣). ويبدو من هذه الآيات ان للجبال نطقا وصدى فيرجع الصدى عندما يحدث صوت بين ثناياها ويستند عليها الانسان فتبارك الذي جعل كل مخلوق ذاكرا له وناطقا بعظمته وجلاله، وكذلك جعل الله الجبال مسكنا آمنا وحفظا من المهالك والمصاعب لمن عاش فيها او لجأ اليها، فهذا ابن سيدنا نوح يحتمي بالجبال عند شدة المياه وحدوث الفيضان لما يجده منها ملاذا آمنا، فقال تعالى: (قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ) ^(٤)، فظن ابن نوح ان الماء لا يصعد على قمم الجبال فيبقى محفوظا، ولكن الطوفان خرق كل القوانين البشرية وصعد على كل جزء من اجزاء الارض المسكونة للقضاء على المشركين، العاصيين المعاندين لدعوة الرسول نوح عليه السلام.

وكذلك جعل الله من الجبال بيوتا للناس ليأمنوا من الحر والبرد والمهلكات، فقال تعالى: (تَتَّخِذُونَ مِنْ سَهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا) ^(٥)، وقال تعالى: (وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ) ^(٦). فنرى ان الله تعالى ميز بين انواع البيوت المشيدة في السهول والمنحوتة في الجبال، فسمى الله الاولى قصورا: لأن الارض واسعة يستطيع الانسان ان يتوسع في البناء ولكن المنحوتة في

(١) ص: ١٨-١٩.

(٢) سبأ: ٤٠.

(٣) الانبياء: ٧٩.

(٤) هود: ٤٣.

(٥) الاعراف: ٧٤.

(٦) الشعراء: ١٤٩.

الجبال سماها بيئا، أن اخراج الغرف من الجبال امر صعب، فيقتصر الانسان على مسكن صغير ياوي اليه، والشاهد في ذلك الاثار الموجودة في الجبال. واثار قوم ثمود مذكورة في قوله تعالى: (وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ)^(١) وقد جاء تسمية الكهف (بالاكنان) في سورة النحل فقال تعالى: (وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا) ^(٢). ويظهر من ذلك ان الله هو الذي خلق للمخلوق الكهوف، واعطاهم القدرة على صنع البيوت من الجبال ليروا عظمة الله تعالى.

ويبدو من هذا العرض القرآني للجبال انها خلقت مسخرة للمخلوقات ليستفيدوا منها في حلهم وترحالهم، فهي تخشى عظمة الله وقدرته، فلا يظهر الجبال بمظهر التقديس والتعظيم ولا يجعل لها ثباتا امام عظمة الله تعالى، كما يراه بنو اسرائيل من القداسة لها، حين جعلوه مسكنا للإله يحل فيه، بل جعلها الله تعالى آية تخوفي لهم وردع عما فرطوا فيه^(٣) قال تعالى: (وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)^(٤)، بل جعلها عرضة على الدوام للهد والتصدع في كل امر عظيم يعرض في الفكر البشري كالادعاء بأن الله ولدا، قال تعالى: (وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا* لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا* تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا) ^(٥).

^(١) الحجر: ٨٢.^(٢) النحل: ٨١.^(٣) ينظر: الطبيعة في القرآن الكريم، ص ١٥٤.^(٤) الاعراف: ١٧١.^(٥) مريم: ٨٨-٩١.

المبحث الثاني

الوان الجبال

لقد نعت الله انظار الناس الى الوان الجبال في القرآن الكريم والى المعادن المتنوعة المخبوءة في طبيعتها، اذ ذكر قبل الوان الناس والانعام وذلك لتأثر الوان الناس بالارض التي يعيش عليها، قال تعالى: (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ* وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَأَلْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ) ^(١). فقد جمع الله تعالى بين الثمرات والجبال والدواب والانعام المختلف الوانهن فيرى الانسان نوعا واحداً من الخلق مكتسباً بالوان مختلفة، فقال ابن كثير: (وخلق الجبال مختلفة الالوان كما هو المشاهد من بيض وحمرة، وفي بعضها طرائق وهي الجدد جمع جدة مختلفة الالوان ايضاً) ^(٢) وقال ايضاً: (كذلك الحيوانات من الناس والدواب وهو كل ما دب على القوائم) ^(٣)، وفي هذا قال تعالى: (وَإِخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ) ^(٤)، وكذلك الدواب والانعام مختلفة الالوان حتى في النوع الواحد منهم، بل الحيوان الواحد يكون ابلق فيه من هذا اللون وهذا اللون فتبارك الله احسن الخالقين، فالالوان المختلفة في الثمار التي تسقى بماء واحد، والوان الدواب المختلفة والوان الانسان والجمادات آية من آيات الله التي تجلب انتباه الانسان نحو التفكير في عظمة الله ودقة صنعه وقدرته في ايجاد الاشياء من العدم ليتنزه الانسان في هذه المناظر الجميلة ويدرك ان هذه الاشياء لم تخلق سدى وما يعقلها الا العالمون.

وكذلك يصنف علماء الجيولوجيا الجبال تبعاً لصخورها الغالبة على تركيبها الى ثلاثة اقسام رئيسية: هي جبال رسوبية طبقية، وهي المشار اليها في الآية الكريمة بـ (جدد بيض). وجبال قاعدية متبلورة متحولة وهي المشار

(١) فاطر: ٢٧-٢٨.

(٢) تفسير ابن كثير: ج ٣/٥٥٣.

(٣) المصادر نفسه.

(٤) الروم: ٢٢.

اليها في الآية الكريمة و (حمر مختلف الوانها) .وجبال بركانية غير متحولة نارية،وهي المشار اليها في الآية الكريمة بـ(غرايب سود).

واذا كان جمهور المفسرين قد ذهبوا الى ان (جدد) هي الخطط او الطرق او الطرائق،فان من معناها العلمي (الطبقات) ،وهذه احدى خصائص الجبال الرسوبية،اذ هي جبال تكونت بترسيب طبقات فوق بعضها على مر الزمان، وهي (بيض) لأن اللون الغالب عليها هو الابيض، وهو ما توصل اليه علماء الجيولوجيا، فالجبال الرسوبية ان لم تكن بيضاء فان لونها يتحول الى الابيض بمرور الزمن، ويذكر المتخصصون من صخور هذه الجبال انواعا يغلب عليها اللون الابيض مع وجود بعض الشوائب، ومن هذه الصخور: دياتوميت، واوبوكا، وليوسيت، وبوكسيت، وكوارتز، واميات، وارثوكلاس، وانهاريت..الخ. اما الجبال الحمراء التي ورد ذكرها في الآية الكريمة بـ(حمر مختلف الوانها) فمفسر المتخصصون الوانها الى شيوع عنصر الحديد فيها، وهو الذي يتأكسد فيظهر الصخر بلون احمر، ويصاحب الحديد معادن فلزية اخرى كالتحاس والرصاص،وتختلف نسب وجودها ،وبالتالي فاللون الاحمر ذو درجات ،وليس احمر قانيا او محضا.

اما الجبال النارية (البركانية) غير المتبلورة،فيشيع اللون الاسود الغريب عليها، ويعتبر البازلت هو الغالب في هذه الجبال، ويؤكد المتخصصون انها اكثر الصخور القاعدية انتشارا، وتشكل حمم العصاب وكذلك الجبال البركانية (النارية) التي غالبا ما تكون على شكل مخاريط، ويعرف معجم المصطلحات الجغرافية الدكتور "يوسف توني" البازلت بانه صخر ناري اسود اللون، له عدة انواع،يتكون بفعل تجمد اللافا (الصهارة)،واهم خصائصه انه غير بلوري الذرات، والجبال النارية ليس لها سوى اللون الاسود، لأنها بحكم طريقة تكوينها البركاني- لم يتعرض لاضافة اشياء (مخاليط) اليها.

وهناك من معاني اللفظة القرآنية(جدد) الجدة بمعنى الشيء المتجدد الغنى، وعلى هذا يرجح نفر من العلماء معنى التجدد والغنى في اللفظة القرآنية (جدد)

ويستدلون على صحة ما يرجحونه بأن جبال الجليد الهائلة المتجمدة منذ مناسات الملايين من السنين تشكل ٩٠% من مخزون المياه في كوكب الارض، كما ان جبال المعادن النفيسة والاحجار الكريمة والرخام، ذات الالوان المختلفة، تعد مصادر ثروة للبشر، ويقول علماء الجيولوجيا انها تتجدد ببطء مع مرور الزمن. برغم ما يؤخذ منها عن طريق العوامل الطبيعية او بيد الانسان، فكلما استنزفت قممها ارتفعت جذورها من الاعماق، فعوضت (أي: جددت) ما استنزفت منها.. الماء والوان الصخور.

والان تلخص الرأي العلمي لدور الماء في الوان الصخور. ومن ثم الجبال، فكما ان الماء له دور محوري في الوان الثمرات (النباتات)، فإن له دور ايضا في الوان الجبال، ويمكن عرض موجز ما توصل اليه المتخصصون في النقاط الآتية:-

تظهر الوان الصخور (ومن ثم الوان الجبال) نتيجة لألوان المعادن الموجودة بها. ويتوقف لون المعدن على التركيب الكيميائي له وظروف البيئة التي يتكون فيها، ان كانت مؤكسدة ام غير ذلك، وتتغير الوان المعادن بامتصاصها لكمية من الطاقة او الموجات الضوئية، واشد المعادن تأثرا بذلك المعادن المحتوية لفلزات انتقالية مثل الحديد والكروم والمنجنيز، وتتغير الوانها بظاهرة الامتصاص فيما يسمى (نظرية المجال البلوري) (Crystal field theory).

ولما كان الماء اكثر السوائل انتشارا (وخصوصا السوائل ذات الكثافة المنخفضة) واكثر السوائل مقدرة على الازابة، واكثرها مقدرة على النقل، وافضل العوامل المساعدة في تفاعلات المعادن السيليكاتية في الصحارة (الماجما)، وافضل العوامل المساعدة في تحويل الصخور من نارية او رسوبية الى متحولة، فانه يتدخل في تحديد الوان الصخور بتدخله في عمليات جيولوجية خارجية وعمليات جيولوجية داخلية، اما العمليات الخارجية فتستمد الطاقة اللازمة لحدوثها من الشمس، واهمها عملية التجوية (Weathering) وعملية الترسيب (Sedimentation)، ويتدخل الماء في تغيير الوان المعادن كالفلسبار

والبيروكسين والهورينلند والميكا، ويتدخل في اكسدة المعادن الحديدية
فينتج مثلاً معدن الجوسان (Gossans) من الاكاسيد الحديدية المائية، وهي
الاكاسيد التي يحدد محتواها المائي الوان المعادن الاولى الى معادن ثانوية ذات
التراكيب الكيميائية والالوان العديدة، مثل المعدن الاولي المسمى (يوارنيتت) ذي
اللون الاسود الداكن الذي يتحدد بأيونات وكتيونات عديدة فينتج اكثر من مائة
معدن ثانوي ذات الوان جميلة.

المبحث الثالث

وظائف الجبال

لقد أوكل الله تعالى وظائف متعددة وكثيرة، فانها تؤدي وظيفتها وفق ما رسم الله لها من واجبات، ففي منافعها للناس بعض تجليات حكمته وفي صورتها دلائل عظمته تعالى. وفيما يأتي نتناول وظيفة الجبال كالآتي:-

١. الجبال أوتاد الارض:

لقد شبه الله تعالى الجبال بأوتاد في سورة النبا فقال: (وَالْجِبَالُ أَوْتَادٌ) ^(١) فنتناول الآية الكريمة من ناحية وظيفة الجبال المشابهة لوظيفة الأوتاد عند الناس.

وقال المفسرون: ان الله سبحانه ثبت الارض بالجبال كي لا تميد كما ثبتت بيوت الاعراب والخيام بالأوتاد. ^(٢)

ويلاحظ الدقة في قياس الجبال على الأوتاد المنفعة والوظيفة التي تقتضي شيئا فوق الارض يعلو سطحها ويمس في اطرافه كما تفعل الخيمة، وتكون الجبال معينة على الاحتفاظ به على الارض، اذ لابد لكل خيمة مع الأوتاد من عماد.

فما هو الشيء الذي فوق سطح الارض يعلوها كالخيمة، وتساعد الجبال على حفظه، ثم ما هو العامل الآخر الذي يتم عمل الجبال في الاحتفاظ بذلك الشيء كما يتم العماد عمل الأوتاد؟

والجواب على هذا هو ان الشيء الذي يعلو الناس فوق الارض هو الغلاف الهوائي الذي يحيط بالارض من جميع الجهات ويقي الناس شر الشهب وشر القدر المؤذي من اشعة الشمس، فالله تعالى اخبر بأن الجبال تعمل في الاحتفاظ بتلك الخيمة الجوية كالأوتاد.

(١) النبا: ٧.

(٢) ينظر: الاسلام في عصر العلم، ص ٣٨٨.

أما الذي يعمل عمل العماد فهو القوة الجاذبية بين الأرض وجلسة الهواء، وهذا يعرف من الآية عن طريق اللزوم، إذ لا تقوم الخيام بالانحدار إلا مع العماد، وأشار الباري عز وجل إلى أن جاذبية الأرض وحدها غير كافية لاحتفاظ الأرض بهوائها ويبقى البحث عن أثر الجبال من حيث توزيعها على سطح الأرض فهي سور كبير فيه ثغراته ويكون في كل من جانبيه شبه حوض تعلو الكتل الهوائية وتنخفض فيه من غير أن تزيله، فالرياح تصطدم بالجبال وترتد عنها صاعدة أو هابطة أو راجعة فلولاً وجود السلاسل الجبلية وتوزيعها على سطح الأرض لطارت الرياح وغادرت أجواء الأرض وانعدمت الحياة.^(١)

٢. حفظ الأرض عن الميلان:

لقد ورد في القرآن الكريم آيات تدل على أن الجبال تحفظ عن الميلان فقال تعالى: (خلق السماوات بغير عمد ترونها وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم)^(٢)، وقال: (وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم وأنهاراً)^(٣). وقال: (وجعلنا في الأرض رواسي أن تميد بهم).^(٤)

فكلمة (ماد) يميد أن تحرك وراغ، من إشارة واضحة إلى حركة، فإن الذي يخشى منه أي يميد ويضطرب هو الجسم المتحرك لا الساكن.^(٥)

فإن حركة الأرض لم تكون معروفة للمفسرين، بل الأرض كانت عندهم ساكنة ولذا ردوا احتمال اضطراب الأرض إلى ما يحيط باليابسة من البحار ولكم الكشف في العصر الحديث المستمرة حول محور ثابت، فقد صان الله الأرض منذ فطرها على الحركة اليومية عن كل قوة عارضة لتدوم حركتها إلى ما شاء الله، فإن الله تعالى أخبر بأنه أرسى الجبال بحيث يمنع اضطراب

(١) ينظر: الإسلام في عصر العلم، ص ٢٩١.

(٢) لقمان: ١٠.

(٣) النحل: ١٥.

(٤) الأنبياء: ٣١.

(٥) القاموس: مادة (مادة).

الأرض وميدانها، أي أن الجبال موزعة في الأرض بحيث تتماثل في الكتلة بالنسبة لحركة الأرض اليومية^(١)، وهي نتيجة عجيبة من أن تتماثل كل الجبال الواقعة في شقي الأرض إذا انشقت في أي اتجاه بمستوى يمر بمحور دورانها اليومي أمام الشمس.

فهذا مجال واسع امام العلماء لينبثوا ان الجبال ذات كتل متماثلة بالنسبة لمحور دوران الأرض، وهناك عوامل أخرى تعمل على اتزان الأرض في حركتها اليومية حتى لا يشعر بها الناس، مثل فعل حركة الجزء السائل في جوف الأرض أثناء الدوران، أو فعل حركة مياه البحار على الشاطئ، فقد أشار القرآن الكريم الى هذه الحركة بكلمة (رواسي) التي سميت بها الجبال فقال تعالى: (والجبال ارساما) فإن أول ما يتجه اليه الذهن هو القوة المؤثرة في السفينة فهناك ثقل المرساة وثقل السفينة الى اسفل، ويقابله ثقل الجبال، وهناك رفع الماء السفينة الى اعلى، ويقابله ضغط حرارة جوف الأرض بغازاته وابخرته على الجبل، وهناك القوى الجانبية المؤثرة في السفينة من نحو فعل الموج وقوى الشد المتغير بين السفينة والمرساة الواحدة عن طريق ما يصل بين السفينة وبينها من حبل أو سلسلة.

ويقابلها في حالة الجبال، تلك القوى الجانبية الهائلة التي انشأ الله الجبال بفعلها في قشرة الأرض حتى تموجت على العموم جبالا ووديانا^(٢) فأقام الله الميزان بينها وبين غيرها من القوى فاستقرت الجبال ورسست في الأرض، كما رسست السفينة واستقرت في مرساها بتوازن القوى المؤثرة فيها، وهناك علاقة بين السفينة والبحر، فهل هناك سائل رست فيه الجبال كما رسست السفينة؟ والجواب: هو أن المقارنة تقتضي أن يكون جوف الأرض سائلا، وأن الجبال تستقر عليه كما تستقر السفينة على ماء البحر، وهذا يظهر من كلمة (ارسامها).

(١) ينظر: الإسلام في عصر العلم، ص ٣٠٠.

(٢) ينظر: وجه الأرض، محمد متولي، ص ٣٦٨.

والتي نشاهده في بعض البراكين عند قذفها بالحمم والصخر المنصهر، ولكن الرسو على هذا الجوف السائل لا ينطبق الا على نوع من الجبال وهو ما يسمى بالجبال النارية في مقابل ما يسمى بالجبال الرسوبية، وهما نوعان اساسيان من انواع الجبال.^(١)

اذن فالآية الكريمة تدل بالفعل (ارسى) المسند الى ضمير الجلالة على اهم نوعين من الجبال الناري والرسوبي، هذا على شاطئ البحر وذلك بجذور له في طبقة سائلة في منصهر الصخر في جوف الارض.

٣. تكوين السحاب على قمم الجبال:

شاعت حكمة الله تعالى ان يجعل على ضفاف البحار جبالا، فيصعد بخار الماء من البحار حارا ويجتمع على قمم الجبال البارد فيتكاثف ثم يسوقه الرياح الى حيث شاء الله ان يسوقه، قال تعالى: (الْم تَرَى اَنَّ اللَّهَ يَرْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خَلَالِهِ وَيَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبَ بِالْأَبْصَارِ).^(٢)

فترى الودق يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب بها من يشاء ويصرفه من يشاء يكاد سنا بركه يذهب الابصار^(٣)، تفسر الآية: انه تعالى يزجي سحابا على مهل اثارته الرياح على هيئة دقائق مائية بحالتين متضادتين بينهما تجاذب طبيعي ثم يولف بين الدقائق الحسائية أي اعدادها وتهينتها بطريقة يعلمها الله، ثم يراكم بعضها على بعض في السحاب ذي الصنف الواحد، ثم تصبح ذي الصنفين فتجتمع الدقائق المتضادة بعضها ببعض تحت تأثير التجاذب بينهما وتنمو الى قطرات مائية متعادلة غير مكهربة لا يقوى الهواء على حملها. قال تعالى:

(١) ينظر: الاسلام في عصر العلم، ص ٢٩٥، وينظر: التفسير العلمي للآيات الكونية، حنفي احمد، ص ٢٩ (ملزمة)

ارساء الجبال.

(٢) النور: ٤٣.

(٣) ينظر: التفسير العلمي للآيات الكونية، ص ٤٤، المطبوع على الملزمة.

(والله الذي أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه إلى بلد ميت فأحييناه به الأرض بعد موتها كذلك النشور) ^(١) أي انه تعالى يرسل الرياح ملقحة تجمع بين شينين من نوع واحد متضادين، وان السحاب الذي تثيره الرياح ما هو الا دقائق مائية مكونة من شينين من نوع واحد متضادين متحاذيين، اذ ان بعض دقائقه المائية بحالة تكهرب موجب وبعضها الاخر بحالة تكهرب سالب مضاد، حتى يمكن ان يكونا متحاذيين. ^(٢) وقد جاء ذكر الرياح متعلقا بالسحاب في سورة الروم، فقال تعالى: (الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه في السماء كفي يشاء ويجعله كسفا فترى الودق يخرج من خلاله) ^(٣)، ويظهر من هذه الآية ان انشاء السحاب يتم بقدرة الله تعالى ويرسله الى بلاد بعيدة مارا باجواء مختلفة، وينزل من السحاب ماء عذبا وكذلك يظهر الى ان هناك علاقة بين الجبال الشامخة وتكوين وتكوين ماء المطر العذب وقد دل البحث والتقيب على هذه العلاقة فقال تعالى: (وجعلنا فيها رواصي شامخات وأسقيناكم ماء فراتا) ^(٤). ويشير المفسرون الى ان انشاء السحاب المطر حدث بعد احداث اول مد ارسيت به الجبال الاولى على الارض.

٤. الجبال مستودع المياه:

يشير القرآن الكريم الى ان المياه تخزن في كنف الجبال ومستودعاتها ثم تخرج على شكل عيون وانهار تجري بطيئا لتستفيد منها الناس، وكذلك تجري المياه الجوفية في باطنها فقال تعالى: (امن جعل الأرض قرارا وجعل خلالها أنهارا وجعل لها رواصي وجعل بين البحرين حاجزا) ^(٥)، وقال تعالى: (الم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الأرض ثم يخرج به زرعا

(١) فاطر: ٩.

(٢) ينظر: التفسير العلمي الايات الكونية: ص ٤٣.

(٣) الروم: ٤٨.

(٤) المرسلات: ٢٧.

(٥) النمل: ٦١.

مُخْتَلَفًا لَوْنُهُ^(١) وقال تعالى: (أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا * أَحْيَاءَ وَأَمْوَاتًا * وَجَعَلْنَا فِيهَا رِوَاسِيَّ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُم مَّاءً فَرَاتًا)^(٢)، وقال تعالى: (وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلْ فِيهَا رِوَاسِيَّ وَأَنْهَارًا)^(٣)، وقال تعالى: (وَالْقَى فِي الْأَرْضِ رِوَاسِيَّ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا)^(٤)، وقال تعالى: (وَإِنَّ مِنَ الْحَجَارَةِ لَمَاءَ يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَاءٌ يَشَقُّقُ فَيُخْرِجُ مِنْهُ الْمَاءَ)^(٥)، ويبدو من هذه الآيات فضل الله على عباده من اجراء الانهار وجعل منابعها في المناطق الجبلية اذ نرى سقوط الامطار والتلوج على قمم الجبال العالية والمناطق الباردة ثم ذوباتها واختزان المياه داخل الجبال وتدفقها على شكل عيون وجدول صغيرة ثم تتكون انهارا كبيرة كما يشاهد في المناطق الجبلية.

٥. تسرب الزلزال من جهة الى الجهة الثانية من الجبال:

عندما تحدث حرارة تحت القشرة الارضية او اثناها تحاول ان تجد فجوة لتخرج الى الخارج فتشد الحرارة وتحدث ضغطا شديدا حولها وتدفع الاجسام المحيطة بها وتخرج في المكان الذي اخف من غيره واقل ضغطا فتظهر على شكل فوهة نارية وتمزق القشرة بقدر القوة التي تملكها، وعندما يصل التمزق الى جذر الجبل تقف وبهذا تحفظ الجهة الثانية من الجبل وتظهر عظمة الله تعالى، اما اذا كان البركان داخل الجبل تحدث فجوة في الجبل ولا يتجاوز الى الجبال الاخرى فما الزلزال الا نتيجة من نتائج هذا البركان فتبارك الله احسن الخالقين.

(١) الزمر: ٣١.

(٢) المرسلات: ٢٥-٢٧.

(٣) الرعد: ٣.

(٤) النحل: ١٥.

(٥) البقرة: ٧٤.

٦. حفظ الأرض من الاضطراب:

من منافع الجبال استقرار الأرض وتوازنها ومنعها عن الميلان، حتى يعيش عليها الإنسان والمخلوقات بأمان ويثبت عليها البناء والتحرك في أرجائها، قال تعالى: (وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَاراً)^(١)، ويلاحظ أنه تعالى قال في الأولى (والقى) وهو يعني القاء الشيء وطرحه من الأعلى إلى الأسفل، والمراد به الخلف والجعل، وقال في الثانية (وجعل) إشارة إلى أن المد في اليابسة عن طريق رواسب الانهيار فهذا شامل لأنواع الجبال، إذ خاضب بالأولى جميع الناس. وبالثانية أهل الشرك لأن الضمير الغائب راجع إلى (الذين كفروا). إذ يذكر الله بني البشر بعجائب من آيات قدرته وحكمته عسى أن يؤمنوا. وقال الرازي: "من نعم الله تعالى التي خلقها في الأرض نعمة الجبال التي ذكر الله منافعها، فأول هذه المنافع:-

(أن تميد بكم) أي لئلا تميد بكم، والميد: الحركة والاضطراب يمينا وشمالا^(٢)، ويقول أيضا (أن الله تعالى لما خلق الأرض على وجه الماء-أول مرة- اضطربت ومادت فخلق الله الجبال الثقيل فاستقرت على الماء بسبب ثقل هذه الجبال).^(٣)

٧. الاهتداء به:

من فوائد الجبال الاهتداء به في الاسفار والانتقال على وجه الأرض، إذ أن الإنسان يهتدي بالنجوم في ظلمات البر والبحر، وبالجبال في المناطق الجبلية عندما يمر بين وديانها وفجاجها، فاصبحت علامات دالة على الطرق، قال تعالى: (وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ)^(٤)، ويقول ابن كثير: قوله (وجعلنا فيها فجاجا سبلا) أي ثغرا في الجبال يسلكون فيها طرقا من قطر إلى قطر، كما هو المشاهد في الأرض يكون الجبل مائلا بين هذه

(١) النحل: ١٥.

(٢) الانبياء: ٣١.

(٣) تفسير الرازي: ج ٢/ ٧.

(٤) الانبياء: ٣١.

البلاد وهذه البلاد، فيجعل الله فيه فجوة ثغرة ليسلك الناس فيها من هاهنا الى هاهنا ولهذا قال (لعلهم يهتدون) ^(١).
ويظهر ذلك لمن ينتقل من المناطق الجبلية ويتحول من مكان الى مكان وفيتح الطريق بين شغراتها وفجاجها ويمشي بمحاذاتها. ويتغذى مما انبت الله من الخيرات ويشرب من العيون المتدفقة ويستريح تحت اشجارها الوارفة ويتمتع في ملكوت السموات والارض. (هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه) ^(٢).

ولأهمية الجبال في حياة الانسان والاهتداء بها فقد سمي الله الجبل بالاعلام في الظهور والدلالة. وشبه السفن الجارية والبواخر الضخمة بالاعلام، قال تعالى: (وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ) ^(٣)، وقال تعالى: (وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ) ^(٤).
فناء الجبال:

جاء ذكر الجبال في القرآن الكريم مقرونة بالقيامة واشراطها احد عشرة مرة، وهي المزملة والتكوير والقارعة والمرسلات وطه والواقعة والكهف والطور والحاقة والمعارج والنبأ.
وتنبئ اربع آيات ان الجبال تسير، وهي حسب ترتيب النزول: (وَإِذَا الْجِبَالُ سِيرَتْ) ^(٥)، و (يَوْمَ نُسِيرُ الْجِبَالُ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً) ^(٦) و (يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا) * ونُسِيرُ الْجِبَالُ سِيرًا ^(٧)، و (وَسِيرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا) ^(٨).

^(١) تفسير ابن كثير: ج ٣/ ١٧٧.

^(٢) لقمان: ١١.

^(٣) التوراة: ٣٢.

^(٤) الرحمن: ٢٤.

^(٥) التكوير: ٣.

^(٦) الكهف: ٤٧.

^(٧) الطور: ١٠.

^(٨) النبأ: ٢٠.

فتدل آية التكوير على أن تسير الجبال علامة من علامات الساعة، أو هو بدء قيامها، بدلالة أن أحداث اشراط الساعة تأتي بعضها تلو البعض،^(١) من زوال الجبال^(٢)، وتعطيل العشار، وقد جاءت الفعل في الآية مبنيًا للمجهول: (وإذا الجبال سيرت) كما جاءت الآيات الأخرى في بداية السورة، وهي تعني أن الجبال تسير بفعل الخالق وأمره عندما يريد سيرد وأزالته عن وجه الأرض، لأن المخلوق يؤثر فيه فعل الخالق وأمره.

ويؤكد ذلك آية الكهف عندما ينسب الله تعالى الزوال إلى نفسه بضمير الممتكلم، فقال: (أو يوم نسير الجبال) فتدل على أن الجبال حين سميرت إنما سيرها الله سبحانه، إذ قامت بأمره وسارت سيراً فعلياً فيزيلها عن أماكنها^(٣)، كما تدل على هذا الدليل آية الطور (وتسير الجبال سيرا). وحددت آية النبأ وجهة سير الجبال فتنبئ بأن الجبال حين تسير إنما ينتهي سيرها إلى الفناء، فلا يبقى لها من الوجود الذي كان إلا كالوجود الذي يكون في السراب فقال: (وسيرت الجبال فكانت سراباً)^(٤)، أي كالسراب لا وجود له كذلك يظنه الرائي ماء وليس بماء.

قال الرازي (أن الله ذكر أحوال الجبال بوجوه مختلفة ويمكن الجمع بينها بأن نقول: أول أحوالها الاتدكاك وهو قوله تعالى: (فدكتا دكة واحدة) والحالة الثانية أن تصوير كالعن المنفوش وهو قوله تعالى: (وتكون الجبال كالعهن المنفوش) والحالة الثالثة: أن تصوير كالهباء وهو قوله تعالى: (وبست الجبال بساً* فكانت هباءً منبثاً)، الحالة الرابعة: أن تنسف.. فترسل عليها الرياح فنسفها عن وجه الأرض فتطيرها في الهواء وهو قوله تعالى:

(١) إن آية التكوير تلها آية (وإذا العشار غطلت). لأن تسير الجبال قد يكون بدء قيام الساعة، إذ العشار كانت لا تزال موجودة في الدنيا، وإنما أصابها التعطيل، وهاتان الآيتان وما فيهما وما بعدهما أحداث متعاقبة فستة منها من سورة التكوير من اشراط الساعة والستة الأخرى من الرقاع التي تكون بعد قيام الساعة في يوم البعث.

(٢) ينظر: تفسير السراج المنير ج ٤ ص ٤٩٠.

(٣) ينظر: تفسير الكرم الرحمن، ج ٤/٤٥.

(٤) النبأ: ٢.

(وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا)^(١)، الحالة الخامسة ان تصير سرابا، أي لا شيء كما يرى السراب من بعد.^(٢) فهذه الايات الاربع تشترك في ذكر ظاهرة تقع بالجبال عند الارتفاع الاولى بين يدي الساعة، وهي سير الجبال وفنائها، وهناك اربع آيات اخرى تتعلق بظاهرة اخرى تقع بالجبال وهي (ظاهرة النسف) وهذه الايات، قوله تعالى: (يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَهِيلًا)^(٣)، وقوله تعالى: (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا* لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا)^(٤)، وقوله تعالى: (إِذَا رَجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا* وَيُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًا* فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًا).^(٥)

لقد ذكر النسف صراحة في الايتين الثانية والثالثة، وذكر بمعناه في الآية الرابعة اما الآية الاولى فهي تمهد للنسف بذكر مقدمته من صيرورة الجبال كثيبا مهيلا، لأن الجبال اذا صارت متيها مهيلا فقد اعدت لأن تنسف نفسها، وتكون هباء منبثا.^(٦) وهاتان ظاهرتان تنزلان بالجبال اما على التعاقب فيسير الجبل ثم ينسف، واما على التقسيم: فيسير بعض الجبال وينسف البعض الآخر، ولكن الاحتمال الاول تمنعه آية النبأ اذا الجبال بعد ان انتهى بها التسيير الى ان تفنى وتكون سرابا لا يمكن ان يلحق بها نفس، وقد انعدمت بالفعل، فلم يبق الا الاحتمال الثاني، ويتعين ان يكون الفناء عن طريق التسيير خاصا ببعض الجبال، والفناء بالنسف خاصا بالبعض الآخر، ويعني هذا ان تكون الجبال صنفين:

(١) طه: ١٠٥.

(٢) ينظر: السراج المبرج، ج ٤، ص ٤٧١، وينظر تفسير الكريم الرحمن ج ٥/ ١٨٨.

(٣) المرسلات: ١٠.

(٤) طه: ١٠٥-١٠٧.

(٥) الواقعة: ٤-٦.

(٦) ينظر: بدء الدين والحساب دراسات قرآنية: تألفي شكري محمد، الطبعة الاولى، ١٩٨٠م، ص ٤٧.

صنف يقبل بفطرته ان يسير حتى يصير سرايا، والآخر ينسف بعد ان يصير بالرجفة كثيبا مهيلا، اذ كل من الصنفين في حالته الدنيوية راس راسخ، لا بد في حكمة الله من اعداده للنسف والتسيير.

دليل ذلك آيتي المعارج والقارعة اذ تذكران تحولا تصير اليه الجبال يخالف ما تصير اليه من كثيب مهيل وكلتا الآيتين تذكران ان الجبال تكون كالعهن، قال تعالى (وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ) ^(١)، واقرن العهن بالوصف في القارعة: (وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ) ^(٢)، فالاية الكريمة تقول ان الجبال يوم القارعة تكون كالصوف المصبوغ المنفوش، فالصوف فيه من التماسك ما ليس في الرمل الذي يكون في الكثيب المهيل، واذن فالجبال التي تصير بالرجفة كثيبا مهيلا غير الجبال التي تكون كالصوف في طبيعتها وتكوينها. وفيما تصير اليه يوم الرجفة، واذا كان انهيار الاولى يهيؤها للنسف فتفكك الثانية حتى تكون كالصوف يهيؤها للسير بالتسيير التي تصير به بعد سرايا. ولهذا تؤكد آية القارعة تقسيم الجبال الى هذين الصنفين اللذين يصير احدهما بالرجفة مثيرا مهيلا ويصير الآخر كالعهن المنفوش، فلولا وصف العهن بالمنفوش في الاية لجاز ان يكون تشبيه الجبال بالعهن راجعا الى التشابه في اللون والصبغة لا الى التشابه في صفات الصوف الاخرى كالتماسك الذي يكون بين اليافه، مما استنبط منه التفريق بين الجبال، بقيت آية الحاقة التي تتعلق بالجبال واحداث القيامة، يقول تعالى: (فَإِذَا نَفَخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ*) (وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً*) ^(٣)، تشير الاية الى تلك الاحداث التي تقدمت بها الايات العشر السابقة، فالدك يحول الجبال اما الى كثبان مهيلة ينسفها الله بما يشاء وكفي يشاء، واما الى حالة من التحلل والتفكك تصير بها بنية الجبال كالصوف المنقوش ثم يسيرها الله بعد ذلك بما يشاء

(١) المعارج: ٩.

(٢) القارعة: ٥.

(٣) الحاقة: ١٤.

حسب ارادته حتى تصير سرايا فتبقى ارض بلا جبال ووديان وتصير ارضا مسطحة غير مستقرة، يقول تعالى: (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا * لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا)^(١)، وكذلك اشار القرآن الكريم الى حركة الجبال وزوالها قبل يوم القيامة، اضافة الى المعجزة العلمية التي تؤخذ منها، يقول تعالى: (وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسِبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتَقَنَ كُلُّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ)^(٢).

ذهب المفسرون الى ان المقصود بحركة الجبال وسيرها قبل يوم القيامة وحجتهم ان آية الجبال مسبوقة بآية (وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَتَوَدَّ دَاخِرِينَ)^(٣). ولكن يمكن ان يؤخذ من هذه الآية معجزة علمية قرآنية وهي تحديد حركة للارض وهي دورانها حول نفسها وحول الشمس اذ تتولد بهاتين الحركتين الليل والنهار والفصول الاربعة، لأن الآية تنبئ بأن حركة الجبال تشبه حركة السحاب الذي يتحرك لا بالذات بل بواسطة الرياح التي تحمله، كذلك للجبال حركة لا بالذات.

ولكن بواسطة الارض التي تحملها، أي ان الآية تثبت للارض حركة انتقالية عن طريق اثبات حركة للجبال تشبه حركة السحاب^(٤) اضافة الى فناء الجبال وزوالها قبل يوم القيامة بالرجفة والدك وتسيير الجبال سيرا هكذا تعلن الجبال عبوديتها لله تعالى وخضوعها لجلاله فانها تستجيب امر الله تعالى وفق ما اورده، قال تعالى: (فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ)^(٥).

(١) طه: ١٠٥-١٠٧.

(٢) النمل: ٨٨.

(٣)

(٤) الاسلام في عصر العلم، ٢٧٣-٢٧٥.

(٥) فصات: ١٢.

الخاتمة

بعد ان تتبعنا مواضيع الجبال في القرآن الكريم وراجعنا كتب التفسير توصلنا الى النتائج الآتية:-

١. ان الجبال تم خلقها بقدره الله تعالى وفق ارادته كما شاء قال تعالى :
(إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) ^(١)، من غير ان يشاركه احد في ايجادها، اذ اسند خلقها الى نفسه جل وعلا فقال: (وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِي أَنْ تُمِيدَ بِهِمْ) ^(٢)
٢. انيط بالجبال مهمات ووظائف تقوم بأدائها وفق ما رسم الله تعالى لها، من حفظ توازن الارض ومنع تسرب الزلازل والاهتداء بها وغيرها من الوظائف التي خلقها الله الجبال لأدائها كما ان للاثسان مهمات ووظائف عليه اداؤها وان يوصل ما امر الله به ان يوصل، ويؤدي الامانة الى اهلها.
٣. ان الجبال تفنى كما تفنى المخلوقات الاخرى بعد ان يصدر امر الله تعالى بزوالها، فيصير قسم منها كالصوف المنفوش والقسم الاخر كثياب مهילה، يقول تعالى: (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا) ^(٣)، وهكذا يعلن كل شيء عبوديته لله تعالى ويطيع امره اذا امره بالايجاد او الفناء.

(١) يس: ٨٢.

(٢) الانبياء: ٣٠.

(٣) طه: ١٠٥-١٠٧.

المصادر

القرآن الكريم

١. الاسلام في عصر العلم، محمد احمد الغمراوي. الطبعة الاولى - مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر - مصر. ١٣٥٥هـ - ١٩٣٩م.
٢. البينة والتضاريس، د. يوسف عبد المجيد فايد. ب. ت.
٣. ترتيب القاموس، طاهر احمد الزاوي، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، ١٣٩٩ - ١٩٧٩م.
٤. تفسير ابن كثير، الحافظ عماد الدين، ابو الفداء اسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ت ٧٧٤هـ. دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان. ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
٥. تفسير الرازي، فخر الدين محمد بن عمر الرازي، المتوفى سنة ٦٠٤هـ. دار الفكر - بيروت - لبنان. ١٤٠١هـ - ١٩٨٠م.
٦. التفسير العلمي للآيات الكونية، حنفي احمد الكاتب، مطبوع على ملزمة.
٧. تفسير السراج المنير، تألفي الخطيب الشربيني، دار المعرفة - بيروت - لبنان.
٨. تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تألفي عبد الرحمن بن ناصر السعدي - تحقيق: محمد زهدي النجار عالم المعرفة - مكتبة النهضة الغربية - بيروت - لبنان، الطبعة الاولى ١٤١٨هـ - ١٩٨٨م.
٩. دائرة المعارف القرن العشرين.
١٠. الطبيعة في القرآن الكريم، د. ياسر كاصد الزبيدي - منشورات وزارة الثقافة والاعلام، دار الرشيد للنشر - ١٩٨٠م.
١١. معجم متن اللغة، الشيخ احمد رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٣٧٨هـ - ١٩٥٩م.
١٢. وجه الارض، محمد متولي، مكتبة الانجلو المصرية. ١٩٧٧م.
١٣. يوم الدين والحساب دراسات قرآنية، شكري محمد الطبعة الاولى، ١٩٨٠.